مجلة المجمع العلمي

الزهراوي جراح العرب الأكبر

٤٠٤ - ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ - ١٠١٣م

الدكتور محمود الحاج قاسم محمد

طبيب أطفال - الموصل / العراق

الملخص :

أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي الأنصاري الأندلسي ، ولد بعيد عام ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م في مدينة الزهراء ، العاصمة الأندلسية ، ويرجح أنه لقي حتفه في عام ٤٠٤هـ / ١٠١٣م أيام البرابرة . ولم ينل الزهراوي ما يستحقه من اهتمام مؤرخي العلوم ومؤلفي كتب التراجم الأندلسيين وبذلك بقيت سيرته المهنية والعلمية خافية علينا ، وله من الكتب كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف ، وهو اكبر تصانيفه وأشهرها .

مكانة الزهراوي في الطب العالمي : يقول لوكليرك يعد أبو القاسم ، في تاريخ الطب ، أسمى تعبير عن علم الجراحة عند العرب وهو أيضا أكثر المراجع ذكرا عند الجراحين في العصر الوسيط ، وقد إحتل الزهراوي في معاهد فرنسا مكانة بين أبقراط وجالينوس فأصبح من أركان الثالوث العلمي

من المرجح أن الزهراوي لم يؤلف من الكتب غير كتاب التصريف . وقد أدى تعدد الترجمات اللاتينية لكتاب التصريف أو لبعض مقالاته إلى الظن بأن للزهراوي مؤلفات أخرى غير التصريف . وجاء التصريف مكونا من ثلاثين مقالة تحدث فيها عن تقاسم الأمراض والترياقات . والأدوية بكل أشكالها مثل الحبوب المسهلة والسفوفة والقلبية والصدرية والمعاجين ، والأقراص والأدهان . . إلخ وأطعمة المرضى والأصحاء .

المقالة الثلاثون والأخيرة : في كتاب التصريف التي هي الأشهر من أجزائه مع ما يزيد كثيرا عن مائتي رسم أو صورة للأدوات الجراحية تحت عنوان العمل باليد وهي القسم العملي الجراحي والوصفي التشريحي للكتاب . يقول فيها وقد قسمت هذه المقالة إلى ثلاثة أبواب :

الأول : في الكي بالنار والكي بالدواء الحار وصور الالات وحدائد الكي وكل ما يحتاج إليه في العمل باليد .

والثاني : في الشق والبط والفصد والحجامة والجراحات وإخراج السهام وصور الآلات الجراحية ورسومها .

والثالث : في الجبر والخلع وعلاج الوثي والفك .

وقد تناولنا في البحث أهم ابتكارات الزهراوي في علم الجراحة والآلات التي إكتشفها .

ترجمة حياته :

هو أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي الأنصاري الأندلسي ((ولد بعيد عام ٣٢٥ هـ/ ٩٣٦ م في مدينة الزهراء ، العاصمة الأندلسية الجديدة ، التي أتم الخليفة عبد الرحمن الناصر بناءها في العام نفسه ونقل إليها مركز حكومته – وقد عاش ومات في بلدته الزهراء – ويرجح أنه لقي حتفه في عام ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م أيام البربرة التي دكت بها معالم المدينة وسقطت في أيدي الغزاة المدمرين . . وفي أحد أزقة قرطبة قرب المسجد وجدت شارعا صغيرا يحمل اسم أبو القاسم الزهراوي Albucasis تخليدا لذكراه من قبل أهالي قرطبة الأماجد الطيبين))[1] .

وقد جاء لقبه في بعض نسخ كتاب التصريف (الأنصاري) إشارة إلى أن والده كان من الأنصار – أنصار الرسول (صلى الله عليه وسلم) – الذين كانوا مع جيش الفتح ، واستوطن قرطبة ، ثم انتقل إلى الزهراء .

((وتدل القرائن على أن الزهراوي بدأ يزاول مهنته في أيام الخليفة عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر (٣٠٠-٣٥٠ هـ/ ٩١٢-٩٦١ م) وأنه أدرك عصر الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦ هـ/٩٦١-٩٧٦ م) وهشام المؤيد بالله (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٩ م) ، غير أننا لا نستطيع أن نثبت أنه قد انتظم في خدمة أحد من هؤلاء الأمراء ولاسيما وأن الزهراوي نفسه يجعلنا نفهم من كلامه في خطبة (التصريف) أنه لم يكن من أهل

---

[1] حمارنة ، الدكتور سامي خلف : تاريخ العلوم الطبية عند العرب والمسلمين ، سلسلة منشورات جامعة اليرموك ، عمان ١٩٨٩ ، مجلد أول ، ص ٣٣٤ -٣٣٥ ، ٣٥٢ .

الزراء ككثير من علماء عصره)) يضيف ((كما من سائر الأطباء الذين يخدمون ذوي السلطان والجاه أن يجمعوا من ذلك ثروة طائلة كما يحرص مؤرخو العلوم ومؤلفو التراجم الأندلسيون))

((وإننا نميل إلى الاعتقاد بأن الزهراوي بقي بعيداً عن خدمة ذوي المكانة في الدولة يدل على ذلك أنه لم يهد كتابه إلى أحد منهم بل وقفه على طلابه . وأن سليمان بن حسان وأبا القاسم صاعد التجيبي وهما من أبرز مؤرخي العلوم العربية في الأندلس - لم يذكرا أي شيء عن الزهراوي مع أنهما ترجما عدداً غير قليل من معاصريه : الأول في طبقات الأطباء والحكماء ، والثاني في طبقات الأمم ، وهما معاً قد حرصا على إبراز الأطباء الذين كانوا منتظمين في خدمة الأمراء . . وكان ابن جلجل معاصراً للزهراوي . . وفي هذا التاريخ كان الزهراوي قد تجاوز الخمسين من عمره وقضى في مزاولة الطب والجراحة نحو ثلاثين سنة . لكنه لم يكن قد ألف بعد كتاب (التصريف) . فهل كان ابن جلجل يجهل وجود الزهراوي لكونه لم يكن مقرباً من ذوي السلطان والجاه ، أم أنه لم يكن قد بلغ من الشهرة ما جعل ابن جلجل يهمله ؟

أما الزهراوي فكان على علم بمؤلفات ابن جلجل ، وقد ذكره في التصريف . . أما صاعد الأندلسي الذي ألف طبقات الأمم عام ٤٦٠هـ/١٠٦٨م ، فإنه عاش بعد وفاة الزهراوي بمدة قصيرة ومع ذلك لم يذكر عنه ولا عن كتابه التصريف قليلاً ولا كثيراً . . مع أنه ذكر من بين تراجمه عدداً من معاصري الزهراوي ، كما ذكر بعض تلاميذه ومنهم الربيع

أبو المطرف عبد الرحمن بن واقد اللخمي (٤٦١هـ/١٠٧٤م) أحد المبررين في علم الأدوية المفردة .))

((فإذا نحن انتقلنا إلى مؤلفي كتب التراجم فإننا نجد أن أبا الوليد بن الفرضي (المتوفى ٤٠٣هـ) لم يذكر أي شيء عن الزهراوي في (تاريخ العلماء ورواة العلم في الأندلس) في حين ذكر من أطباء عصره طائفة لا يبلغون مكانة الزهراوي ، لقد كان علينا أن ننتظر مرور عقود من الزمن على وفاة مؤلف التصريف لنظفر باشارة إلى كتابه هذا عند أبي محمد علي بن أحمد بن حزم (٤٥٤هـ/١٠٦٣م) في رسالته الشهيرة (في فضل الأندلس وذكر رجالها) حيث قال في معرض تعداد مؤلفات الأندلسيين في الطب : (وكتاب التصريف لمن عجز عن التأليف لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي ، وقد أدركناه وشاهدناه ولم نر فلنا إنه لم يؤلف في الطب أجمع منه ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع لنصدق)

ثم جاء تلميذه أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي (٤٨٨هـ/١٩٥م) فقدم لنا في جذوة المقتبس معلومات عن الزهراوي ثم نقل كلام إبن حزم بنصه . . أما أحمد بن عميرة الضبي (٥٩٩هـ / ١٢٠٢م) فقد إكتفى بنقل ما كتبه الحميدي نقلا حرفيا

وعلى هذا فمن الواضح أن أبا القاسم الزهراوي لم ينل ما يستحقه من اهتمام مؤرخي العلوم ومؤلفي كتب التراجم الأندلسيين وبذلك بقيت سيرته المهنية والعلمية خافية علينا بحيث إننا نجهل شيوخه وأماكن استقراره وتنقلاته

ومكان وفاته ، كما لا نعرف شيئا عن تلاميذه سوى ما قلناه عن الوزير ابن واقد اللخمي)). [٢]

أما مؤرخو العلوم من أهل المشرق فنذكر من بينهم ابن أبي أصيبعة الذي قال عنه ((كان طبيبا فاضلا خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة جيد العلاج ، وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب وأفضلها كتابه الكبير المعروف بالزهراوي ، ولخلف بن عباس الزهراوي من الكتب كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف ، وهو اكبر تصانيفه وأشهرها ، وهو كتاب تام في معناه)) . [٣]

مكانة الزهراوي في الطب العالمي [٤] : ((لخص لوسيان لوكليرك مكانة الزهراوي في تطور الطب العالمي بقوله ((يعد أبو القاسم ، في تاريخ الطب ، أسمى تعبير عن علم الجراحة عند العرب وهو أيضا أكثر المراجع ذكرا عند الجراحين في العصر الوسيط)) ثم قال :

((وقد إحتل الزهراوي في معاهد فرنسا مكانة بين أبقراط وجالينوس فأصبح من أركان الثالوث العلمي)) [٥]

ولوكليرك إنما يؤكد بهذا القول الأخير ما سبق أن رنده ركسيوس (Riccius) في القرن الخامس عشر الميلادي ، ويعد لوكليرك أحد

---

[٢] الخطابي ، محمد العربي : الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية ، دار الغرب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٨ ، ج١ ، ص ١١٣ .

[٣] ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، بيروت ١٩٧٩ ، ٣:٨٣.
الخطابي (المصدر السابق) ، ص ١١٩ .

[٤] لوكليرك : تاريخ الطب العربي ، ٤٥٤ _ ٤٥٥ .

المتخصصين في دراسة الزهراوي ، فهو الذي ترجم إلى الفرنسيه مقالة في الجراحة ، وكتب عنه في تاريخ الطب العربي الذي أصدره عام ١٨٧٦ م ، نحو عشرين صفحة ضمنها معلومات مفيدة عن هذا الجراح الأندلسي ولا سيما عن الترجمات اللاتينية والعبرية لكتاب التصريف .

وعن مكانة الزهراوي في الغرب الأوربي نقل لوسيان نقل عن كتاب " تاريخ الفكر في فرنسا Histoire Litteraire de la France " فقرة تبين التأثير البالغ الذي أحدثه الزهراوي في سبيل تقدم علم الجراحة في أوربا ، يقول

" هنالك واقع جدير بالإهتمام في تاريخ الجراحة بفرنسا ، ذلك أنه في النصف الثاني من القرن الثالث عشر غادر عدد من الأطباء الإيطاليين وطنهم في أعقاب الفتن التي نشبت بين طوائف الجلفيين والجبلنيين ، ولجأوا إلى فرنسا حاملين معهم مؤلفات أبي القاسم ، الطبيب العربي الأندلسي الشهير الذي يعد باعث الحياة في علم الطب ، ويظهر أن هذه المؤلفات قد وصلت بوصول أحد أطباء مدرسة ساليرنو إلى باريس ، واسمه روجي دي بارم Roger de Parme . وقد وفد بعده إلى فرنسا أطباء آخرون منهم برونودي كالبر Bruno de calabre ولافرانك Lanfran ، وتادي Tadde ، ولوي دي ريجيو Louis deRegio ، وفاليسكوس دي تارينتي Valescus de Tarente ، ولوي دي بيز Louis de Pise ، وأغسطس دي فيرون ، وسلفيستر دي بيستوي Silvesstere de Piosti ، وأرمان الكريموني Armand fr Cremone وآخرون غيرهم . وإننا نتفهم عبارة لانفرانك الذي وصل الى فرنسا نحو عام ١٢٩٠م حيث قال : " إن جل الجراحين الفرنسيين كانوا أغبياء ومتحذين ، لا يكادون يعرفون لغتهم ،

وكانوا مجرد خدمة ، وقد بلغ بهم الجهل بحيث يتعذر العثور على جراح عدلي بينهم)) .

((ومن هنا فإن دهشتنا تتضاءل ونحن نرى أبا القاسم الزهراوي يتبوأ مكانه إلى جانب أبقراط وجالينوس ، ويؤلف ما يشبه الثالوث العلمي)) .[1]

مؤلفاته :

سبق أن ذكرنا قول ابن أبي أصيبعة عن الزهراوي والذي يوهم إلى أن للزهراوي كتابين وهذا لا شك غير صحيح لأن الزهراوي لم يؤلف غير كتاب التصريف .

وقد حقق ونشر عبد الحميد العلوجي كتاب [تفسير الأكيال والأوزان] ونسبه للزهراوي ، وأكثر الإحتمال أن هذا الكتاب من بعض أجزاء كتاب التصريف المفقودة وليس كتابا آخر له .

ويؤكد الأستاذ محمد العربي الخطابي ما ذهبنا إليه حيث يقول :

((من المرجح أن الزهراوي لم يؤلف من الكتب غير كتاب التصريف . . وقد ذكر إبن عبدون – عرضا – في [عمدة الطبيب] كتابا آخر للزهراوي سماه [ترجمة العقاقير][2] . وقد يكون المقصود بهذا المقالة المتعلقة بالأدوية المفردة في كتاب التصريف [الباب الأول من المقالة التاسعة والعشرين] .

---

[1] المصدر نفسه

[2] عمدة الطبيب في معرفة النبات مخطوط الخزانة العامة بالرباط ، ص ٦٨ .

هذا وقد أدى بعد الترجمة اللاتينية لكتاب التصريف أو لبعض مقالاته إلى الظن بأن للزهراوي مؤلفات أخرى غير التصريف ، ومن الأسماء التي شاعت في اللغة اللاتينية في العصور الوسطى عن كتاب أبي القاسم :

١ Acaravius و Alsaharavius ، وهذه التسمية ليست إلا الرسم اللاتيني لاسم الزهراوي ، وإنما أطلق من باب الشهرة على الكتاب نفسه ، وذلك من قبيل ما ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء كما سبقت الإشارة . أما المقالة الثلاثون المتعلقة بالجراحة فقد شاعت في اللغة اللاتينية باسم Liber chirugicae كما أطلق عليها اسم Albulcasae de chirurgia libritres أي كتاب الزهراوي في الجراحة . ذلك أن المؤلف اشتهر عند الغربيين باسم Albicasis أو Abulcasis وهم تصحيف صوتي لاتيني لكنية الزهراوي وهي أبو القاسم .

٢ Liber servitoris ، وهي ترجمة تقريبية للعبارة العربية [كتاب التصريف] ، وهذه التسمية اللاتينية لم تكن تطلق في الحقيقة إلا على المقالة الثامنة والعشرين من كتاب التصريف الخاصة بإصلاح الأدوية.

وكيفما كان الحال فإن التأليف الوحيد الذي خلفه الزهراوي ووصل إلينا كاملاً هو كتاب [التصريف لمن عجز عن التأليف] ، وقد وقع بعض اللبس في فهم المعنى الذي قصده المؤلف من هذه التسمية ، فلو أننا رجعنا إلى ما ذكره الزهراوي نفسه في خطبة الكتاب لارتفع اللبس ووضح القصد ، يقول : [وسميته بكتاب التصريف لمن عجز عن التأليف ، وإنما سميته بذلك لكثرة تصرفه بين يدي الطبيب وكثرة

حاجته إليه في كل الأوقات وليجد فيه من جميع الصفات ما يغنيه عن التأليف] ، والمقصود أن الزهراوي - الذي ألف هذا الكتاب لبنيه قبل غيرهم - أراده أن يكون في متناول المشتغلين بالطب يرجعون إليه عند الحاجة ويأخذون منه ما شاءوا من صفات الأدوية وطرق العلاج)) [٨].

مراجع الزهراوي في كتاب التصريف :

((يتبين من قراءة مقالات كتاب التصريف أن الزهراوي قد رجع إلى عدد من المؤلفات اليونانية والعربية في الطب والأغذية والأدوية وتدبير الصحة . . . اما المقالة الثلاثون [في العمل باليد] فإن الزهراوي لم يذكر فيها اسم أي مرجع ، بل اعتمد في جل فصولها على خبرته ومعاناته الفعلية للجراحة والجبر كما يتضح . . . وقد أكد الزهراوي في ديباجتها أن صناعة العمل باليد تكاد تندرس في بلده وزمانه ، وأن ما بقي منها [رسوم يسيرة في كتب الأوائل قد صحفته الأيادي وواقعه الخطأ والتشويش حتى إستغلقت معانيه وبعدت فائدته فأردت أن أحييه] فنحن أمام عمل إحياء وتجديد قائمين على الخبرة والممارسة من جهة ، وعلى ربط فن الجراحة بعلم التشريح ووظائف الأعضاء من جهة أخرى ، وهذا ما أكده الزهراوي بالقول والفعل)). [٩]

---

[٨] عمدة الطبيب في معرفة النبات مخطوط الخزانة العامة بالرباط ، ص ٦٧.

[٩] نقلنا هذه الفقرة عن الخطابي ، المصدر السابق ص ١١٩ - ١٢٠

ز والمصادر التي استقى منها الزهراوي بخصوص تراكيب الأدوية هي :

١ - جالينوس : كتاب الأدوية المقابلة للأدواء ، كتاب النجح ، نصائح الرهبان ، المزاجات ، تدبير الأصحاء .

٢ - أرمانيوس : كتاب أرمانيوس

٣ - أهرن [القس السرياني] : كتاب أهرن [الكناش الذي نقله ماسرجويه إلى العربية]

٤ - بولس= بولس [الأجانيطي]

٥ - سرجيوس [بن إلياس الرومي] : كتاب سرجيوس [رسالة في الأدوية]

٦ - سابور [بن سهل] : كتاب سابور [الأقرباذين]

٧ - ابو حنيفة الدينوري : الأدوية المفردة [كتاب النبات]

٨ - الكندي له كتاب الترياق .

٩ - يوحنا بن ماسويه [ابو زكرياء يحيى]

١٠ - أبو بكر محمد بن زكريا الرازي : كتاب المنصوري . كتاب الطب الملوكي . كتاب الأقرباذين . كتاب السر [سر صناعة الطب]

١١ ابو جعفر أحمد بن الجزار : كتاب زاد المسافر وقوت الحاضر البغية في الأدوية المفردة . كتاب الإعتماد في الأدوية المفردة . كتاب النصح . كتاب المعدة .

١٢ - ابو داود سليمان بن حسان بن جلجل : الأدوية المخزونة .

١٣ - عبد الله بن محمد الثقفي السوسي : الكنانيش (المقالة التاسعة في أدوية القلب) .

١٤ - مسيح بن حكم : كتاب مسيح بن حكم [الرسالة الهارونية]

أما الأطباء والنباتيون الذين ترددت أسماؤهم في كتاب التصريف من غير إشارة إلى مؤلفاتهم فنذكر منهم : أندروماخوس ، روفش ، لوقش ، بوسطس ، إسحق ابن عمران ، حنين إبن إسحاق ، إسحق بن سليمان ، جبريل بن بختيشوع ، أبو بكر يحيى إبن إسحق ، موسى بن القزاز)). [١٠]

وهناك ثلاثة أمور لابد من الإشارة إليها وهي :

١ - مسألة أساس جراحة الزهراوي هو بولس [بولس] : ذهب بعض الباحثين – وفي مقدمتهم لوسيان لوكرينك – إلى أن الزهراوي إعتمد في الجراحة على الكتاب السادس لبولس الأجانيطي ((والحقيقة أن الزهراوي ذكر بولس عدة مرات ونقل منه صفة أدوية ، ولكنه لم يذكره في مقالة الجراحة ، وربما نقل معلومات من كتاب علل النساء لبولس وذلك في الفصول التي خصصها الزهراوي لفن التوليد وتدبير الحوامل ، وليس لدينا أي دليل على أنه نقل من كنانيش بولس شيئا)) [١١]

٢ التشابه بين الزهراوي وإبن الجزار في فصل تدبير الصبيان : حيث أن هناك ((تشابها في المعنى واللفظ بين الفصل الذي كتبه الزهراوي حول تدبير الصبيان وبعض فصول كتاب أبي جعفر إبن الجزار القيرواني في كتابه سياسة الصبيان وتدبيرهم الذي إستند فيه مؤلفه إلى مصادر سابقة ، أ أخذ الطبيبان العربيان من مصدر قديم واحد أم أن الزهراوي نقل مباشرة من إبن الجزار . ولاسيما وأن الزهراوي كان قد إطلع على

---

[١٠] الخطابي (المصدر نفسه) ، ج١ ، ص١٢١

[١١] الخطابي (المصدر نفسه) ص ١٢١-١٢٣

بعض مؤلفات هذا الطبيب القيرواني وذكرها بأسمائها – كما ذكرنا ولكنه لم يذكر من بينها كتاب سياسة الصبيان)) [٢٢]

٣ معرفة الزهراوي بابن سينا : ((إن الزهراوي لم يعرف ابن سينا [٤٢٨هـ/١٠٣٧ م] ولم يطلع على كتابه القانون . فهو قد توفي قبل ابن سينا بنحو أربع وعشرين سنة ، وكان الشيخ الرئيس في ريعان شبابه مشرفا على الثلاثين من عمره . هذا ويؤكد ابن أبي أصيبعة أن كتاب القانون لابن سينا لم يدخل إلى الأندلس إلا في زمان الطبيب أبي العلاء بن زهر [٥٢٥هـ/ ١١٣٤م])). [٢٣]

محتويات كتاب التصريف :

وقبل الدخول في تفاصيل محتويات الكتاب من المناسب أن نذكر فقرات من خطبة الكتاب التي بين فيها الزهراوي غايته من تأليف للكتاب ، فقال :

((حبيكم الله يابني موارد الخير . فهذا كتاب ألفته لكم . . وهو عظيم الفائدة قريب المنفعة ، وسميته – (كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف) ، وإنما سميته بذلك لكثرة تصرفه بين يدي الطبيب ، وكثرة حاجته إليه في كل الأوقات ، وليجد فيه من جميع الصفات ما يغنيه عن التأليف ، كفيتكم به من قراءة الكنانيش المطولات وكتب الأوائل المغلقة . . وجعلته لكم كنزا وذخرا ، ولكم انتفع به سواكم ثوبا وأجرا ، إذ لا فضل مال لي أخلفه لكم ، فإن وراثة العلم عند أهل النهى أفضل من وراثة المال .

---

[٢٢] الخطابي (المصدر نفسه) ص ١٢٣.

[٢٣] الخطابي (المصدر نفسه)ص ١٢٤ .

ومع أني لم اقصد في وضعه قصد من أراد الفخر والذكر والتروس ، وإنما قصدت فيه ان أجعله بين يدي تذكرة حاضرة وعدة للشيخوخة ، ولكن ذخيرة نافعة ومنفعة باقية . فإن طعن علي طاعن فيه أو تعقب علي متعقب لخلل أو زلل وقع فيه بغير عمد ، فالخير أردت ، والصواب قصدت ، ولكل عامل جزاء ما لم يتعمد الخطأ . . وحسبي أني لم أؤلفه إلا لنفسي وبني ، فإن أنصف منصف . . وجد هذا الكتاب ينتفع به العام والخاص والجاهل والعالم في كل أوان)).

أما محتويات الكتاب فهي كما يأتي [٢٤] :

المقالة الأولى : بعد خطبة الكتاب يتناول في هذه المقالة حد الطب وقسمي العلم من أمور طبيعية وأسباب ودلائل ، والعمل باليد وعيون من التشريح لجميع أعضاء البدن ووظائفها والأدوية ومنافعها وأوصافها وتركيبها ، والأمراض الآلية وأصنافها وأسبابها وأجناس الدلائل وعلاماتها وتقدمة المعرفة والإنذارات والأنباض .

المقالة الثانية : في تقاسيم الأمراض وعلاماتها والإشارة إلى علاجها وما يعرض للحبالى وعلامات الحمل وخروج الجنين على الشكل الطبيعي وتدبير خروج الطفل والرضاعة والوقت الذي ينبغي فيه أن يدرب الطفل أكل الطعام وظهور الأسنان والعظام ونموه ليصير صبيا

المقالة الثالثة : في صفات المعاجين القديمة التي تخزن وتدخر والدبيدات التي اعتاد الحكماء تركيبها على طول الأزمان وكرروا تدبيرها واستعمالها على طول الأيام وتيقنوا فضلها ونفعها .

---

[٢٤] الخطابي (المصدر نفسه) ص١٢٤ .

المقالة الرابعة . في الترياقات مجموعة من كنانيش الحكماء ورؤساء الأطباء من جملتها الترياق الكبير الفاروق وكيفية عمله ومنافعه الكثيرة والمراتب السبعة لتحضير مفرداته وما ذكره سابور بن سهل صاحب الأقرابادين الكبير ونسخه البيمارستان ببغداد وغيرها من الترياقات النافعة في جميع السموم والمضادة لفعلها في البدن

المقالة الخمسة : في الأيارجات القديمة والحديثة وادخارها وتخميرها والتي يحتريها المشوك في خزائنهم حتى تعتق وتستعمل في الأمراض العسيرة . وكلمة الأيارج مشتقة من اليونانية وتعني الدواء المر .

المقالة السادسة : في الحبوب المسهلة المرة مع التحذير من استعمال أدوية قوية كشحم الحنظل والصبر والسقمونيا والفربيون والشبرم .

المقالة السابعة : في الأدوية المفيئة ، والحقن والشافات والقثل والغرغرات .

المقالة الثامنة : الملوكية في الادوية المسهلة المألوفة اللذيذة الطعم العطرية الرائحة التي يستعملها الأشراف وأهل الرفاهية .

المقالة التاسعة : في الأدوية القيئة وأكثرها متحركة من داخل البدن منشؤها من المرة السوداء والبلغم

المقالة العاشرة : في الإطريفلات والبنادق مع نسبتها إلى أصحابها للاستعمال في أوجاع المعدة والرطوبات والإستفراغات .

المقالة الحادية عشرة : في الخوارشات وصنوف المعجونات مجموعة ، كالسابق ، من كتب الأوائل وهي نافعة في حفظ الصحة أو ردها للمرضى والبعض منها من تأليف الزهراوي نفسه ، ومنها ما هو نافع لجميع علل المعدة الباردة تطيب النفس ومقوية للأعضاء تعين على

الهضم وتقوي الريح ، تصلح للأسوف مع الحذر من خمر الأدوية العتيقة

المقالة الثانية عشرة : في أدوية الباه والتسمين والتهزيل والمدرة للبول وإكثار اللبن .

المقالة الثالثة عشرة : في الأشربة والسكنجبينات والربويات والمربيات مع مئات الوصفات الدوائية ومنها من تألفه .

المقالة الرابعة عشرة : في البخاتج والمطبوخات والمنقوعات المسهلة وغير المسهلة .

المقالة الخامسة عشرة : في المربيات ومنافعها وحكمة ترتيبها وادخارها .

المقالة السادسة عشر : في السفوفات التي لا تحتمل البقاء لإسراع الهواء في فساد مركباتها لخلوها من حافظ يبقي عنها الفساد .

المقالة السابعة عشرة : في الأقراص .

المقالة الثامنة عشرة : في السعوطات والبخورات والقطورات والذروزات والغراغر .

المقالة التاسعة عشرة . في الطيب والزينة وصناعة الغوالي

المقالة العشرون : في الأكحال والشيافات واللطوخات .

المقالة الحادية والعشرون : في السنونات وأدوية الفم والحلق .

المقالة الثانية والعشرون : في أدوية علل الصدر .

المقالة الثالثة والعشرون : في الضمادات وأصنافها .

المقالة الرابعة والعشرون : في صناعة المراهم .

المقالة الخامسة والعشرون . في الأدهان وأحكام صناعتها .

المقالة السادسة والعشرون : في صنعة المرضى والاصحاء .

المقالة السابعة والعشرون : في طبائع الأدوية والأغذية وإصلاحها ، وذكر قواها وخواصها .

المقالة الثامنة والعشرون : في اصلاح الادوية المفردة والمركبة من معادن ونبات أو حيوان وحرق الاحجار المعدنية وما يتصرف في الطب من ذلك . وهي أفضل مقالة من نوعها كتبت في الأندلس حتى زمن المؤلف .

ولاول مرة نجد الرسم والوصف الكامل لطريقة عمل القالب الذي يصنع وتطبع فيه الاقراص على لوح من الأبنوس أو العاج ، فبعد ثم ينشر الى نصفين طولا ، ثم يحضر في كل وجه قدر غلظ نصف قرص وينقش عي أحد الوجهين اسم القرص المراد صنعه مطبوعا بشكل معكوس ، فيكون النقش صحيحا عند خروج الأقراص .

ولا ريب في ان ذلك يعطي الزهراوي حقا حضاريا لكي يكون المؤسس والرائد الأول لصناعة الطباعة، وصناعة أقراص الدواء؛ حيث اسم الدواء على كل قرص منها، هاتان الصناعتان اللتان لا غنى عنهما في كل المؤسسات الدوائية العالمية . ومع هذا فقد اغتصب هذا الحق وغفل عنه كثيرون .

((وبسبب ترجمة كامل المقالة إلى اللاتينية وشيوع استعمالها تحت عنوان كتاب التصريف (Liber Servitorius) زاد انتشارها في الأوساط الطبية والعلمية حتى اعتبرت هذه المقالة وكأنها كتاب

الزهراوي الكامل ، اضف إلى ذلك أنه لأصالة هذه المقالة وطرافتها وأهميتها في تاريخ العقاقير والكيمياء ، فبعد ترجمتها في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) في الغرب ، نشرت بواسطة نقولا جنسون الغاللي في فينسيا عام ١٤٧١م وهي أول طبعة من نوعها في موضوعها في عالم الطباعة ، وتبعتها بعد ذلك عدة طبعات)) .[٢٥]

المقالة التاسعة والعشرون : في تسمية العقاقير باختلاف اللغات (يونانية وسريانية ولاتينية واسبانية وبربرية) مرتبة على حروف المعجم ، وعناوين الأسماء والالات على حسب فهم بلدنا (الأندلس) ، ودل العقاقير بعضها بعض اذا عدمت المطلوبة أو تعذر وجودها ، وأعمار الأدوية المفردة والمركبة من مصادرها الطبيعية ، وتفسير الأكيال والأوزان الموجودة في كتب الحكماء باختلاف لغاتهم .

المقالة الثلاثون والأخيرة : في كتاب التصريف التي هي الأشهر من أجزائه مع ما يزيد كثيرا عن مائة رسم أو صورة للأدوات الجراحية تحت عنوان العمل باليد وهي القسم العملي الجراحي والوصفي التشريحي للكتاب . وشعورا بأهمية الموضوع فالزهراوي يعلل الأهداف والأسباب والأغراض التي حملته على تأليف المقالة قائلا : ((لما أكملت لكم يا بني هذا الكتاب بعد المشقة رأيت أن أكمله لكم بهذه المقالة التي هي جزء العمل باليد لأن العمل باليد محسنه في بلدنا وفي زماننا

---

[٢٥] وجزيا هذه الفقرة عن ، حمارنة (مصدر سابق) ص ٣٣٦-٣٤٦ .

معدوم البتة حتى كاد أن يدرس علمه وينقطع أثره وإنما بقي منه رسوم يسيرة في كتب الأوائل الإغريق فرأيت أن أحييه .

والسبب الذي لا يوجد صانع محسن بيده في زماننا هذا لأن صناعة الطب طويلة وينبغي لصانعها أن يرتاض قبل ذلك في علم التشريح حتى يقف على منافع الأعضاء وهيئاتها ومزاجاتها واتصالها وانفصالها والعروق ومخارجها في البدن

ثم يقول ((وقد قسمت هذه المقالة إلى ثلاثة أبواب :

الأول : في الكي بالنار والكي بالدواء الحار وصور الآلات وحدائد الكي وكل ما يحتاج إليه في العمل باليد ، واضعا حدودا علمية وشروطا لتطبيقه وليس بصورة عشوائية بل حدد الزمن والمكان والحالات المرضية التي تفيد فيها ، حتى من أساء فقد أساء فهم قصد الزهراوي وتوصيته ، الأمر الذي بسببه يعتبر سابقا بين أطباء عصره سابقا لأوانه .

والثاني : في الشق والبط والفصد والحجامة والجراحات وإخراج السهام وصور الآلات الجراحية ورسومها ، وفي هذا يحذر من أخطاء تسبب نزف الدم ، وعدم التسرع أو الجهل بقوانين المهنة وأصول ممارستها .

والثالث : في الجبر والخلع وعلاج الوثي والفتق والرد على ادعاء الجهال والعوام من ممارسي الصناعة معطيا وصفا واضحا لوضع الأضمدة النافعة في الجبر للمعالجة والشفاء . وهو يجهل رأي القائلين بأن الكي آخر الدواء لعدم فهمهم للأمر والتجلي في المقاصد ، ويصوب مفصلا الكي بالحديد على الذهب بعكس ما اعتبره جراحي زمنه

والذين سبقوه ، مع تحديد المكان والأسماء والحالات التي قبل أن يشرع في ذلك))

وقد أغفل ابن السبيعة ذكر هذه المقالة بالرغم من أنها أهم مقالات الكتاب مما يدل على عدم إطلاعه على التصريف بصورة كاملة .

مخطوطات كتاب التصريف [٢٧] :

محطوط في مكتبة الحرم المكي الشريف .

- = = حسين حسين أيوب بمصر في مجلدين .
- = الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم ١٣٤ .
- = = = = = ٦٣٥ د .
- = = = = ٦٧٣ في قسمين .
- = = = = = = ٦٧٧٩ .
- = = = = ٦٧٨٠ .
- = = = = = ٨٣٦٤ .
- = بشير أغا رقم ٥٠٢ في السليمانية بإسطنبول .
- = = = ٥٠٣ = = =

= علي أميري عربي رقم ٢٨٥٤ في السليمانية في إسطنبول .

- = ولي الدين رقم ٢٤٩١ في السليمانية بإسطنبول .
- = سيد علي بإسطنبول .

حمارنة (المصدر نفسه) ص ٣٥٠ .

حمارنة (المصدر نفسه) ص ٣٥٠ .

Liber Alzaragui de cirurgia . وطبع للمرة الأولى عام ١٤٧١ في فينا ، وفي إيطاليا . ثم تتالت الطبعات اللاتينية بين عامي ١٤٩٧ و ١٧٨٨م . وصدرت طبعته عام ١٧٧٨م باللغة العربية في أوكسفورد مع الترجمة اللاتينية للنص العربي وقد أشرف عليها جون شالنج .

ترجمه إلى الفرنسية سنة ١٨٦١ بومين لوكلرك ، وتعتبر ترجمته أفضل الترجمات الفرنسية . ثم صدرت الترجمة الإنكليزية مع النص العربي عام ١٩٧٣ . التي اشترك فيها سبينك ولويين . ولم ينشر الكتاب كاملا ترجمة إلا لجزءا يأتي لعه حتى الآن . وأخيرا في عام ١٩٨٣ نشر الترجمة الروسية للمقالة الثلاثين .وقد ألحق الجراح الفرنسي الشهير (Guy de chauliac . . . عام ١٣٦٧ م) الترجمة بأحد كتبه[١٩] .

وعلق عليه كبار الجراحين مثل أبوالبندبتي (ت ١٢١٩ م) ما يدل على الثناء العظيم لكتاب التصريف في نشأة الجراحة في أوربة ، حيث بقي مرجعا هاما للجراحين في الشرق والغرب لعدة قرون حتى بدايه العصر الحديث

وفي الحقيقة أن الزهراوي لم يشتهر في العالم العربي إلا بعد ترجمة كتاب التصريف إلى اللاتينية ، وشهرته في أوربة . ولا سيما أن الأطباء الأندلسيين والمغاربة ممن استفادوا مما ورد في كتابه كالغافقي والإدريسي وابن ميمون وابن البيطار لم ينوهوا بذكر الزهراوي[٢٠] .

---

[١٩] مصري ، الدعسان (المصدر نفسه) . ص ١٠ - ٨٢ .

[٢٠] Max Meyerhoff , 1961, Scince and Medicin

The legacy of Eslam. Oxford university press P. 331

- بنكبور في مكتبة خدا بخش في الهند . ومعه المخطوط رقم ١١ الحاوي للمقالة الثلاثين فقط .
- مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس رقم ١١٦٢ – ١١٦٧ .
- مخطوط تيمور رقم ١٣٧ طب .

مدريد رقم ٥٠٠٧ .

ومن الجدير بالذكر أن معظم هذه المخطوطات ناقصة لا تضم كامل مقالات الكتاب .

ترجمات الكتاب [١٥] :

ترجم الكتاب إلى البروفنسالية ، كما ترجمه إلى اللاتينية جيرارد الكريموني ، وإلى العبرية الحبر شم طب sem tob ، وكان الجزء الثلاثون الذي نشر باللاتينية تحت عنوان " الجراحة " أوسع الأجزاء انتشارا . وأكثرها أهمية في تاريخ الطب كله ، مما رفع مكانة الزهراوي إلى أبقراط وجالينوس ، وجعل فن الجراحة لأول مرة علما مستقلا عن الطب ، قائما على أساس من علم التشريح ، وعلم وظائف الأعضاء .

'Gonzalez palencia ,1945 , Historia delaliterature Aravigo- EditorialLabor , Beacelona ,p.29 ' .

ويعتبر جيرارد الكريموني (ت ١١٨٧ م) أول من نقل الكتاب إلى اللاتينية ، حيث ترجم كتاب (العمل باليد والجراحة) بعنوان

---

[١٥] مصري ، الدكتور محمود ، النعسن ، الدكتور محمد هشام : الجراحة في الطب الأندلسي ، منشورات المجمع الثقافي " أبو ظبي " - الإمارات العربية المتحدة ، ٢٠٠٥ ، ص ٨٠ – ٨١ .

واخيرا ننقل قول الجراح الفرنسي أمبل فورج عن كتاب التصريف : ((كان له الفضل الاول في تلخيص جميع المعارف الجراحية في عصره ، وسمي التصريف صورة التعبير الأول في الجراحة))[1] .

مبادئ عامة ينبغي بها في الطب وردت في التصريف : زخر كتاب الزهراوي بالعديد من القواعد والمبادئ الطبية التي ينصح فيها الأطباء في الأخذ بها ، اخترنا فيما يأتي بعضا منها : حيث يقول

((... ثلاثة أنواع العلاج في حفظ قوة المريض لكيلا تسقط قبل استبانة . فعنده يبدأ الطبيب بما خلف هبوطها إذا لم يكن في ذلك كبير مضرة ، وطبيب بكل ما يرجو أن يدخل عليه منه الراحة والسرور والفرح ، وعده بالفرج المعجل ، وهون عليه المرض ... وأضرب له الأمثال بمن نجى أو فلانا تخلص من مرضه الذي كان أعظم من مرضك

- إن من أبلغ الأشياء فيما يحتاج إليه في علاج الأمراض - بعد المعرفة الكاملة بالصناعة - حسن مسألة العليل ، وأبلغ من ذلك لزوم الطبيب العليل وملاحظة أحواله .

إن كثرة التخليط في الطعوم قبل إحكام عمله واحدا او في واحد مفسدة للنفس ومسلمة للفكر

خذوا في تجربة ومزاولة المرضى وعلاج العوام وتواضعوا ولا تأخذكم العزة والكبرياء في التفتيش والامتحان للأمراض القبيحة عن الاستنكاف لشكله

---

[1] . محمد زهير الصديقي ، الطبيب الزهراوي ، بحث واعمال المؤتمر العالمي الثاني عن الطب الاسلامي ، منظمة الطب الاسلامي ، الكويت ١٩٨٣ ، ص ٢١٤ .

الفقراء وأهل المسكنة . وأدخلوا الراحة عليهم وخففوا من أوصابهم بقدر الطاقة وتحديد النية لهم إبتغاء أجر الله العظيم .

وهنالك شروط وضعها الزهراوي للجراح قبل بدء العملية الجراحية وهي[٢٢] :

١ - يوضح الزهراوي قائلاً (ينبغي أن يكون التحذير اشد لأن العمل في هذا الباب كثيرا ما يقع فيه الاستفراغ من الدم الذي به تقوم الحياة عند فتح عرق أو شق ورم او بط اخراج أو علاج جراحة أو اخراج سهم أو شق على حصاة ونحو ذلك مما يصحب كلها الضرر والخوف يقع في اكثرها الموت). [٢٣]

٢ - كما نبه الزهراوي إلى ضرورة دقة التشخيص قبل البدء بأي عمل جراحي لان اخفاق الجراح في تشخيص الحالة التي هو بصدد معالجتها يؤدي إلى هلاك المريض دون شك [٢٤] ويقول في ذلك ((أنا اوصيكم عن

---

[٢٢] جلدكس . ريسنر : الحضارة العربية ، ص ١٩٨

الشمري ، نهاد نعمه مجيد حسن : تاريخ الطب في قرطبة الإسلامية ، رسالة ماجستير - كلية الآداب للبنات ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٠٥ .

[٢٣] التصريف : ص ٤٦٣.

- ALBUKASIS ON SURGERY AND INSTRUMETS
ADEFINITIVE EDITION OF THE ARABIC TEXT
WITH ENGLISH TRANSLATION AND COMMENTARY
BY: M.S.SPINK AND G.L.LEWIS
LONDON THE WELLCOME INSTITUTION
OF THE HISTORY OF MEDICIONE 1973

الوقوع فيما فيه الشبهة عليكم فانه قد يقع عليكم في هذه الصناعة مسروب من الناس يتقحمون من الاسقام فمنهم من قد ضجر من مرضه وهان عليه الموت لشدة ما يجد من سقمه)) [٢٥].

٣- ونهى الزهراوي وحذر طلابه عدم إجراء عملية جراحية للمريض وحالته لا يرجو منها شيئا حيث يقول ((ومنهم من يبذل من حاله ويعينك به راجيا الصحة ومرضه قتال فلا ينبغي لكم أن تساعدوا من أتاكم ممن هذه صفته البتة)) [٢٦].

٤- وحذر الزهراوي طلابه من الغرور والمجازفة فيقول ((رأيت طبيبا آخر قد تقدم في اخراج حصاة لرجل قد طعن في السن وكانت الحصاة كبيرة فنهور واخرجها مع قطعة حرء من المثانة فمات الرجل بعد ثلاثة أيام وكنت قد دعيت لاخراجها فرأيت من عظم الحصاة وحالة المريض ما قدرت عليه)) .

٥ - يمنع الزهراوي من الانزلاق في اغراءات المال والتوسل بمباهج الدنيا بل النظر دائما ايها افضل لإطالة الحياة وصحة المريض [٢٧] . ومن خلال العمليات التي قام بها الزهراوي والتي سوف نتناولها في كتابنا ((الزهراوي جراح العرب الاكبر)) لاحقا نجد الحذر عند الزهراوي في كل عمل يقوم به على الرغم من براعته وطول باعه في مضمار الطب

---

[٢٥] أمين . فيص : الزهراوي والعمليات الجراحية ، مجلة التراث العربي ، العدد السادس عشر ، القسم الأول ، بغداد ، ١٩٨٤م ، ص ١٤٤

[٢٦] التصريف (المصدر سابق) ص ٦٦٠

[٢٧] التصريف (المصدر نفسه)

والجراحة ، ويعمل على اطالة حياة المريض مهما كانت حالته فيقوم بالعمل الافضل والمناسب لكل حالة بعيدا عن التهور . وقد نبه في ذلك طلابه بأن لا يستغلوا ما لديهم من العلم القليل الذي لا يمكن من خلاله التجرؤ في اجراء عملية جراحية مما يؤدي إلى هلاك المريض إذ يقول ((فالعلة هي في جهل الطبيب وعدم تتبعه ودراسته فأن استغل الطبيب الجاهل بعضا من علمه أصبح مشعوذا وخاصة اذاكان ذلك الطبيب مستندا إلى بعض قواد البلد، فأمن من العقاب ويستمر في عمله)) [٢٨].

- ((ويسجل التاريخ للزهراوي سبقا آخر إذ أنه قد أوصى في كل العمليات الجراحية في النصف السفلي من جسم الإنسان أن يرفع الجوف والأرجل قبل كل شيء ، حيث أن هذا الإجراء يعجل على إرجاع الدم إلى القلب ويقلله في الأقسام المرفوعة فيجعل موضع العملية واضح الرؤية وهذه الطريقة اقتبسها الغرب مباشرة عن الجراح العربي وعرفت باسم الألماني فردريك تريندلنبرغ (F . Terendelenburg))) [٢٩].[٣٠]

وفي ختام حديثنا عن كتاب التصريف نتساءل لماذا لم يحقق وينشر هذا السفر الكبير والمهم حتى اليوم بشكل كامل ، وأريد القول لولا أنه لم تعد صحتي تعينني لأقدمت على تحقيقه ، وأملي في الشباب من الباحثين أن يشدوا العزم ويخرجوه لنا كاملا وإن ذلك ليس عليهم بعزيز إن شاء الله .

---

[٢٨] عبد الغني، مصطفى نشأت. دور الزهراوي في تأسيس علم الجراحة، ط١، الهيئة المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص ٧١ .

[٢٩] التصريف (مصدر سابق) ص ٤٦٢.

[٣٠] هونكه ، سيغريد : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٧٨ .